قضايا الأدب والأدباء

عبث .. وصغار !

بقلم كمال نشأت

يبدو اننا لا زلنا ـ على الرغم من اخذنا بروح الجد في جميع مجالات حياتنا بناء لمستقبل افضل ـ نعيش في ظل رواسب الماضي. فمنذ اسابيع فكر احد الصحفيين في حيلة دنيئة كسبا للاثارة الصحفية ولو كانت على حساب أدباء ناجحين . فقد كتب الصحفي أحمد رجب تمثيلية قصيرة تنحو نحو مسرح اللامعقول تهكما بهذا المسرح وتندرا عليه نشرها في مجلة الكواكب(١)، وهو يدعي انه لم يتعمد في كتابتها منطقا ولا هدفا، وانما ترك للقلم حرية الكتابة دون اختيار ، وكلما خطرت في ذهنه فكرة أو تعبير غريب شاذ وضعه على الورق كيفما اتفق . وقد عرضت هذه التمثيلية على بعض نقادنا المعروفين وهم الدكتور عبد القادر القط ورجاء النقاش وعبد الفتاح البارودي والمخرج المسرحي سعد اردش. وقد ادلى النقاد بآرائهم في المسرحية بعد ان قدمت اليهم على انها للكاتب المسرحي دورنيمات ، واتخذ القائمون على امر الجريدة موضوع التمثيلية والاراء التي قيلت فيها مادة اثارة صحفية رخيصة لم تزل اصداؤها تتردد الى الان على صفحات الجرائد والمجلات في مصر على اعتبار ان النقاد قد مدحوا هذه التمثيلية المنسوبة زورا الى دورنيمات فضلا عن انها كلام فارغ لا منطق فيه ولا هدف كما يدعي صاحبها . وتتابع سطحية القائمين على هذه المجلة التي نشرت هذه المؤامرة طريق الاثارة الفارغة التي دأبت عليها قديما كل الصحف الصفراء فتأخذ برأي الراقصات والمطربين والممثلين وكل من هب ودب في هذه المشكلة كانهم جميعا أهل علم ونظر وثقافة ودراية بالمسرح وتطوره ! ولسنا ندري الدافع الذي حدا بالقائمين على امر هذه المجلة الى اثار هذه الزوبعة.. أهي الاثارة الصحفية التي لا تعنى الا بالفقاقيع العائمة على السطوح استلفاتا للنظر والتماسا للرواج ؟ أم الدافع أخطر من ذلك بكثير ؟

ذلك ان نتيجة هذه الزوبعة هي دون شك التشكيك في أمر النقاد والادباء البارزين الذين اثبتوا وجودهم وكان لهم فضل لا ينكره متتبع للحركة الادبية المعاصرة .

وجوهر القضية يتلخص فيما يأتي :

١ ـ تفاهة التمثيلية استنادا الى اعتراف كاتبها الصحفي من انها كلام فارغ لا فن فيه ولا منطق ولا هدف وعدم ادراك النقاد لهذه التفاهة لاعتقادهم انها من أدب اللامعقول .

٢ ـ مدحهم التمثيلية اعتقادا منهم انها لمؤلف اجنبي ولو قيل لهم ان كاتبها هو الصحفي احمد رجب لتغير الامر مما يثبت « في رأي كاتبها » وجود « عقدة الخواجه » لدى النقاد ، تلك العقدة التي تضيف الفضل كله لكل ما هو غربي نتيجة الاحساس بالتخلف والنقص.

ولو رجع بعض القراء والادباء السطحيين الى المسرحية نفسها وقرأوها قراءة متانية لبانت لهم تفاهة هذه الضجة ولاتضحت امامهم حقيقة الامر . وأول ما ينكشف امام القارىء المتثبت ان التمثيلية ليست كما يدعي صاحبها ، فليست فيها التفاهة واللامعقولية التي يحاول اسنادهما اليها .. بل انني لاذهب أبعد من ذلك فأقرر ان احمد رجب أعجز من كتابة مثل هذه التمثيلية .. وليس ببعيد ان يكون كاتبها احد اصدقائه من الادباء العابثين ، ولو كانت التمثيلية تافهة الى الحد الذي يضج في الاعلان عنه لاستوقفت نظر هؤلاء النقاد وهم خيرة مثقفينا وليست هذه هي المرة الاولى التي ينقدون فيها أعمالا ادبية .

ان في هذه التمثيلية بصرا باساليب التعبير وشيئا من التركيز ومعرفة ببعض النظر الفلسفي ولعلنا نلمح شيئا من هذا كله في هذا الجزء الذي نذكره دون اختيار وهو مع ذلك ليس احسن اجزائها :

رينات ـ « تنصت » :

صوت وقع أقدام في الخارج ...

كيبل ـ ماذا بك ؟

رينات : انني اسمع وقع خطوات .. لقد جا ءشتاتلر . اسمع « ينقطع الصوت » .

كيبل : واهمة .. الوهم يا امرأة أصبح يدب بقدميه في رأسك فتخالين انها خطوات شتاتلر .

« يعود صوت وقع الاقدام خارج المسرح .. »

رينات : أحقا يا كيبل انا لا اسمع وقع خطوات .. أتراني واهمة « يبتعد الصوت بالتدريج » .

كيبل : « في سخرية » : الوهم وحش كبير .. وما أتفه رؤوسنا أمامه .. انه يفترس فيها كل حقيقة .. انه ينفذ الى رؤوسنا في صغير لعين كاعصار رهيب يقتلع كل شيء كل رؤوسنا صغيرة امام الوهم ... والوهم عدم ... والعدم لا شيء . حتى العدم لا نستطيع ان نصمد أمامه .. ان يقهرني .. دائما يقهرنا .. رينات .. اتسمعينني.

والحوار كما نرى حوار معقول جدا ، ولا يمكن ان يكون كاتبه قد ذكر فيه كل ما مر بباله دون اختيار أو هدف كما يدعي فالمنطقية سمة ظاهرة فيه كما رأينا ولكنها مصيبة انصاف المتعلمين والمتسرعين الذين يتلقفون العناوين ولا يديرون النظر الفاحص فيما تحتها من كلام، ورأي النقاد في التمثيلية رأي صادق لم يرفعها الى مستوى الادب العالمي كما يقول كاتبها او القانع بالتوقيع على ما كتبله . وموقف الدكتور عبد القادر القط كواحد ممن ادلوا برأيهم فيها يدلنا على ذلك .. فقد ابتدأ رأيه بتأريخ موجز لنشأة مسرح اللامعقول وهو كلام لا يمس التمثيلية اصلا ، وكان كل ما قاله فيها ما يأتي « ويخيل الي ان الرجل والمرأة في هذه المسرحية هما وجهان لحياة الانسان أولهما يرمز الى الروح والثاني الى الجسد .. والروح حبيسة في سجن ضيق لا تستطيع الخروج منه ولا الوصول الى الزهرة الصفراء ولا سد النافذة لتحول دون تدفق الهواء الاسود . لان الجسد ثائر على هذه الروح متطلع الى لذة يوشك ان يستمتع بها ولكنها في النهاية تغوص في الطين .. ولا يمكن ان تتم سعادة الانسان وحريته وقدرته على الحركة الا بتحقيق المصالحة بين الروح والجسد . على ان هذه الرموز كما قلت تقبل كثيرا من التأويلات . ولا ينبغي ان نحكم على المسرحية بمجرد حلنا لهذه الرموز بل بما تثيره في نفوسنا من مشاعر وافكار .. » وينهي الكاتب رأيه بمعارضة هذا اللون المترف من الانتاج الادبي الذي يمثل مرحلة حضارية معينة لم يمر بها مجتمعنا العربي .. وكان رأي رجاء النقاش ان المسرحية تعبر عن مأساة الانسان الحديث وتعلقه بالامل وانتظاره لمعجزة تحرره وتخلصه ...

وهذه الاراء التي قيلت في المسرحية لم يكن لاسم الكاتب دخل في تكوينها فسواء كان كاتبها دورنيمات أو احمد رجب أو أي انسان ـ علما

---

(١) المسرحية حوار بين رجل وامرأة يتحدثان عن شخص ثالث ينتظرانه ، وفكرتها هي نفس فكرة مسرحية بيكت المعروفة « في انتظار جودو » .

كان ام نكرة ـ فان رأي النقاد انصب على هذه المسرحية المعينة التي لم تكن ـ كما رأينا ـ محاولة مسطول ترك قلمه يتحرك في يده دون هدف كما يحاول صاحبها ان يوهم الناس !

وبدهي أن أديبا « مهما كانت ثقافته واطلاعه » لا يستطيع ان يتابع ما تخرجه المطابع في العالم بل ان متابعة المطبعة العربية وحدها كما قال الدكتور مندور ـ شيء مستحيل » فنسبة المسرحية الى دورنيمات أو غيره لا تقدم ولا تؤخر من حيث النظر الى المسرحية والحكم عليها. وهي في نفس الوقت لا تعتبر مطعنا يشين واحدا ممن ذكروا رأيهم فيها خصوصا وان فكرة هذه المؤامرة لا تخطر على بال احد .. لانه لا يعقل أن تلجأ مجلة تنتسب الى دارصحفية تملكها الدولة الى هذا العبث والصفار في وقت أخذ الجد فيه طريقة الى كافة مجالات حياتنا.. هذه الحياة التي لم تهدر ولم تضع الا في أمثال هذه التفاهات قبل ان نتحرر ونعرف طريق الخلاص . وفي رأيي أن المسألة يجب ألا تقف عند هذا الحد . . فان مهنة القلم أشرف من ان ينتسب اليها الادعياء والمهرجون والفوضويون ولقد اصبحت صحافتنا ملك الدولة ، ولما كانت هذه الصحافة لسان الشعب الذي تحرر وطرح عن نفسه مخازي الماضي وعيوبه وجب على القائمين بالامر تحرير الصحافة من الاقلام الرخيصة التي تشكك وتهدم وتعبث دون رادع من حياء أو ضمير .

كمال نشأت

حول نقد « قضايا الشعر المعاصر »

بقلم عبد الجبار عباس

لم يقابل كتاب السيدة نازك الملائكة عن « قضايا الشعر المعاصر » باعتباره اول دراسة منهجية جادة عن الشعر الحر بما كان حريا ان يقابل به من مناقشات معمقة ودراسات تحليلية ترتفع الى المستوى الذي بلغه الشعر الحر من جهة وتسمو الى مصاف الجهد الذي بذلته المؤلفة الفاضلة في اخراج هذا الاثر الادبي القيم من جهة اخرى. واذا ضربنا صفحنا عما حملته لنا الانباء الادبية من أمر حديث الدكتورة سهير القلماوي عن الكتاب في اذاعة القاهرة ، والفصل الذي نشرته الدكتورة بنت الشاطىء في « الاهرام » ، فليس في ما بين ايدينا من النقود التي نشرت عن الكتاب ما يشير الى انه حظي بما يستحق من تقييم نقدي وانصاف موضوعي.

وليس أدل على هذا من ان يوسف الخال (١) يدعو في معرض نقده للكتاب وفي غير قليل من « الجرأة » الى الاهتمام بالمضمون دون الشكل والانصراف عن الضبط اللغوي والنظم دون قواعد مسبقة ! ، وان الناقد عدنان ابن ذريل (٢) لم يكن يعلم حتى صدور الكتاب ان حركة الشعر الحر قضية ذات شأن وعلى جانب من الخطورة ، وان الناقد علي الحسيني (٣) اكتفى بمناقشة الاراء التي يخالف فيها المؤلفة معرضا عن جوانب الكتاب الايجابية .

والذي يمعن النظر في كتاب السيدة الفاضلة يجد ان بمقدوره ان يقسم موضوعاته الى قسمين بارزين اولهما نقدي محض ، وهو القسم الذي تناولت فيه المؤلفة بالدرس الرصين والتحليل العميق موضوعات فنية خالصة كقصيدة النثر وهيكل القصيدة والتكرار والصلة بين الشعر والحياة ومزالق النقد المعاصر ، وثانيهما عروضي أقرب الى الدراسة التاريخية المقننة منه الى الدراسة الذوقية المحضة ، وان تكن المؤلفة قد أشارت في غير موضع إلى انها اعتمدت الذوق الموسيقي أساسا في استقرائها القوانين العروضية الجديدة .

والواقع ان الملاحظات التي انصبت على موضوعات الكتاب النقدية لا تختلف عن اراء السيدة نازك حول تلك الموضوعات في انها ليست احكاما نهائية في ذاتها ، ذلك لانها تتعلق بموضوعات آنية من جهة، ولا تسلم من تأثير ذوق صاحبها فيها وتبنيه لهذا المذهب الفني او ذاك من جهة اخرى ، فهي اقرب الى الانطباع الذاتي منها الى الحكم التاريخي، والا فأين هي الحقيقة التي تمخضت عنها مناقشاتنا حول الالتزام واسباب ظهور الشعر الحر وعناصر القصيدة وأهمية الموضوع ما دمنا لم نتفق ـ ولا يبدو اننا سنتفق لاسباب موضوعية وجيهة ـ على رأي موحد في هذه المواضيع ؟. نحن لاندعو الى صرف النظر عن موضوعات كهذه، ولكن الذي نريد ان نؤكد عليه هنا ان علينا ان نكون من رحابة الصدر والتمثل لحقيقة مشاكلنا الادبية في المستوى الذي لا نقابل به بعض الاراء التي تصدر عن هذا الناقد او ذاك بالاعراض لمجرد انها لا تجد من اذواقنا ومدارسنا قبولا . حسب تلك الاراء انها تصدر عن ذوق فني مرهف وفكر منطقي رصين . نحن نعجب بكتاب السيدة نازك الملائكة لا لان آراءه النقدية تتفق وما نذهب اليه في هذه القضية أو تلك ، ولا لانه وضع حلا نهائيا لمشاكلنا الادبية الراهنة « وهذا ما لم تزعم المؤلفة انها وضعت كتابها من أجله » وانما لان في الكتاب من عمق التفكير وبعد النظر ورهافة الذوق ما يدعونا الى الاعجاب به والدعوة الى تدارسه وتقييمه. ان علينا ان ننصت باهتمام الى الاراء الجدية في المواضيع التي نتبنى فيها وجهة نظر خاصة ، ففي ذلك للحركة الادبية الخير كل الخير، وان الزمن كفيل بحسم ما نتصارع بسببه من اراء ومذاهب .. صحيح ان الفصل الخاص « بمزالق النقد المعاصر » لا يخلو من دعوة الى تمجيد طاقاتنا الابداعية بصرف النظر عن مدارس نقدية بعينها بالرغم من اتفاقنا مع المؤلفة على عجز اسلوب الانشاء والنقد التجزيئي والاحكام السلبية عن نقد عمل فني ما نقدا صحيحا ، وصحيح ان لتطور نفسية المؤلفة الذي انتهى بها الى الاستقرار بعد فترة الضياع والكآبة أثرا واضحا في النزعة المحافظة التي اتسمت بها بعض آرائها النقدية كما هو واضح في تنبؤها بان كثيرا من المغالين في استعمال الشعر الحر سيرتدون في السنين القادمة الى الاعتدال والاتزان ويعودون الى الاوزان الشطرية فيكتبون بها بعض شعرهم « ص ٤٧ » ، وهو تنبؤ ليس له ما يبرره البتة ، وصحيح ايضا ان نقدها للدعوة الاجتماعية في الشعر لا يخلو من لاموضوعية اذا نحن نظرنا اليه على ضوء ما أصابته هذه الدعوة من تطور واتساع بحيث انها لم تعد مقصورة على مفهوم اجتماعي معين، ولكن من الواضح انه لو لم يكن في دراسات المؤلفة النقدية غير تناولها العميق لهيكل القصيدة واساليب التكرار والمسؤولية اللغوية وقصيدة النثر لكفاها فخرا ، ولكفانا دليلا على ما تتمتع به من دقة في التناول

(١) راجع : مجلة شعر ـ ٢٤ خريف ١٩٦٢

(٢) راجع عدد الاداب السابق . المقال الاول

(٣) راجع عدد الاداب السابق . المقال الثاني .

فنـدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتدلة

بادارة : حلمي المباشر

وعمق في النظرة واحاطة باطراف الموضوع ، والا فمن غير السيدة نازك الملائكة من نقادنا المعاصرين تناول هذه الموضوعات الدقيقة بمثل مـــا تناولتها من رصانة وعمق وبعد نظر ؟

بقيت مسألة العروض الجديد .. والنقاش حولها ينحصر في ثلاث نقـــاط :

١ ــ ينكر يوسف الخال على المؤلفة استقراءها الجديد بدعوى « ان خليل الشعر القديم قد جاءنا يستقرىء القوانين ويضبط البحـــور والسقطات في زمانه بعد مئات السنين على نشوء القريض العـــربي وتطوره « لاحظ ان القريض العربي لم يصب حظا من التطور الموسيقي حتى ظهور الخليل » ، أما خليلنا الجديد « يعني السيدة المؤلفة » فقد استعجل المجيء ولم يمر على تجارب حركةالشعر الحر الا عشر سنوات » ناسيا او متناسيا ان الوعي بالشكل الموسيقي الجديد ، على عكس وعي شعراء العرب قبل الخليل بالبحور التي ينظمون بها ، بدأ مبكرا جـدا، (٤) ، وان السيدة نازك الملائكة ما كانت لتأخذ على عاتقها مهمة استقـراء القوانين العروضية الجديدة ــ وهي في رأيي قوانين يستطيع أي باحث تمكن من العروض ورزق الحس الموسيقي الجيد أن يستقرأهـــا ، لانها ليست نتاج الفطرة فحسب وانما تستند الى عروض الخليل ايضا ــ لـــو لم يقع الشعراء المحدثون في اخطاء عروضية عديدة نصت عليها المؤلفة في كتابها ، ذلك لان الشكل الجديد كما نصت السيدة نازك ادعى الـى الخطأ العروضي من الشكل التقليدي ، ولو لم يقم الخليل باستقـــراء القوانين العروضية القديمة لما تغير شيء في حقيقة ان الشكل القديـم يقي صاحبه من الزلل والخطأ ولظل الشعراء يكتبون قصائـــد سليمة العروض كما كان يفعل الشعراء قبل الخليل ، ولكن وعي الشاعر المعاصر بالاطارالموسيقي العام للشعر الحر لم يعصمه من الوقوع في الخطـــأ الناجم عن وحدة التفعيلة وتشابه ضروب بعض البحور وطريقة الكتابة. واذا كنا في ظرف عشر سنوات قد ارتكبنا كل هذه الاخطاء العروضيـة فما هي الحال التي سيكون عليها الشعر الحر لو اخذنا بنصيحة يوسف الخـــال ؟ !

٢ ــ تساءل الناقد عدنان ابن ذريل : « لماذا نقبل بتكرار التفعيلة ولا نقبل بتكرار الايقاع الشعري بالنسبة للبحور الاخرى » والواقع ان المؤلفة ما كانت لتجزم بان الطويل والمديد والبسيط والمنسرح لا تصـلح للشعر الحر على الاطلاق ، لو ان الشعراء المحدثين كتبوا في هذهالبحور .. لقد كان امر كتابة الشعر الحر من البحـــر الطويل او البسيط لا يعدو كونه محاولة انتهت من تلقاء نفسها بالفشل دونان يقف احد في وجهها . وعلى سبيل المثال .. فقد كتب بلند الحيدري من البحـــر البسيط قصيدته الموسومة « في الليل » (٥) ، وهي على الشكل التالي:

في الليل اذ تدفن الموتى لياليها
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
وتتكي الانفس التعبى على ابد
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
لم يدر ان يدي
مستفعلن فعلن
حاكت مآسيها
مستفعلن فعلن
من كل ما فيها
مستفعلن فعلن
وانني في ظلام الليل أسيان
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

(٤) راجع مقدمة ديوان « شظايا ودماء » لنازك الملائكة، ومقـــدمة ديوان « اساطير » للسياب .
(٥) أغاني المدينة الميتة وقصائد اخرى .

ولكن بلند الحيدري نفسه لم يكتب على هذا النمط قصيـــدة اخرى ، كما لم يكتب ــ في حدود علمنا ــ شاعر اخر ، والسبب في هذا الاعراض عن هذه البحور « ان كون الوحدة تتالف من تفعيلتين بدلا من تفعيلة واحدة يجعل طول الشعر محددا لا يعدو ان يكـــون « فعـــولن مفاعيلن » ــ الحديث هنا عن البحر الطويل ــ واحدة أو تكرارها «فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن (ص ٦٧) » وهو « نظم صلب تنقصه الليونة (ص ٦٨) » .

٣ ــ انكر علي الحسيني ويوسف الخال على المؤلفة دعوتها الىتجنب الخلط بين التشكيلات ، وزعما ان مثل هذه الدعوة استبدال للقيـــد القديم بقيد جديد ، وكنت اود لو كان المجال يتسع لمناقشة القيـــود واهميتها في الفن المحكم السليم ، ولكني اكتفي الان بمناقشة هذا المقطع من قصيدة سعدي يوسف :

يا طائرا أضناه طول السفر
قلبي هنا في المطر
يرقب ما تأتي به الاسفار

ألا يرى (الخال) ان في « اسفـار » ووزنهـا « مفعـول » نشـازا موسيقيا يصدم الاذن المرهفة التي انسجمت مع « فاعلن » في ضـــربي الشطر الاول والثاني .. فضلا عن ان في هذا التغيير الذي طرأ عـــلى موسيقى القصيدة عزوفا عن بحر « السريع » الى بحر « الرجز » ؟ أم ان السيد الخال يريد لنا ان نكتب الشعر هكذا كيفما اتفـق ودون قواعـد مسبقة كما هو الحال في اغلب القصائد التي تنشرها مجلة « شعر » ؟!. ان السيدة المؤلفة لم تفعل اكثر من انها طبقت قوانين الخليل نفسهـــا على الشعر الحر فكما لا يحق للشاعر الذي يكتب بالطريقة القـــديمة ان يخرج عن السريع الى الرجز في قصيدةواحدة ، كذلك لا يحقللشاعر الذي يكتب بالشكل الحر مثل هذا الخروج ، واذا كنا نشك في ســـلامة استقراء نازك فحري بنا ان نشك في قوانين الخليل ذاتها .

وبعد .. وبعد .. فان كتاب « قضايا الشعر المعاصر » على مـــا انطوى عليه من اراء ذوقية قد لا تتفق وهذا المذهب او ذاك ، سيبقى دليلا ناصعا على ما بلغه النقد العربي المعاصر من الدقة والعمق، وستبقى قوانينه العروضية دستورا ينبغي على كل من يكتـــب الشعر الحـــر ان يستفيد منها ويقوّم فنه على هداها .

الحله — عبد الجبار عباس

صدر حديثا

الوجودية وحكمة الشعوب

تأليف سيمون دو بوفوار

ترجمة جـورج طرابيشي

دراســات عميقة عن الوجودية وعلاقــاتها بالمجتمع والشعب وأثرها في الحياة عموما

دار الاداب — الثمن ١٧٥ قرشا لبنانيا